

وليست امكانية تطبيق هذا على مسألتني الراهنة واضحة بصورة مباشرة، ولكن مثلما يعد الطب النفسي الغربي، من وجهة النظر البوذية الزينية، مشوشاً، أو مفهوماً فهماً خاطئاً فيما يتصل بالمقصود من الشفاء، ويحتاج موقفه في الواقع إلى توجيه عكسي، فأنا أسائل نفسي أولاً يمثل ضعف النقد الحديث ارتباطاً في المقصود من النقد؟ في أية منفعة ينتظر أن يعود بها، ولِمَن؟ وربما أدّى غناه وتنوعه إلى أن يكتنف الغموض غايته النهائية. ومن الممكن أن تتجه عين كل ناقد إلى هدف محدد، ويمكن أن تُشغَل بمهمة لا تحتاج إلى تبرير، ومع ذلك فإن النقد ذاته قد يتيه فيما يتصل بأهدافها. وإذا كان الأمر كذلك فليس هذا بالأمر المدهش. أوليس من الأمور الشائعة، الآن أن العلوم، وحتى الفيلولوجيا الكلاسيكية، وصلت إلى نقطة من التطور يوجد عندها كثير جداً مما يلزم الإلمام به حول أي اختصاص بحيث ما عاد الوقت يتسع للطلاب ليعرف كثيراً حول أي شيء آخر؟ ومن المؤكد أن البحث عن منهج يجمع الدراسة المتخصصة وبعض الثقافة العامة كان أحد المشكلات الأكثر عرضة للمناقشة في جامعاتنا.

ولا نستطيع، بالطبع، أن نعود إلى عالم أرسطو أو القديس توما الإكويني، ولا نستطيع أن نعود إلى حالة النقد الأدبي قبل كولريديج. ولكن ربما كان في وسعنا أن نفعل شيئاً لإنقاذ أنفسنا من أن يطغى علينا نشاطنا النقدي الخاص، بأن نطرح بصورة مستمرة سؤالاً كهذا: متى يكون النقد ليس نقداً أدبياً، بل شيئاً آخر؟ ولقد تولّاني الدهول إذ كنت أجد، من حين إلى آخر، أنه يُنظَر إليّ على أنني أحد آباء النقد الحديث، إذا كنت أكبر سناً من أن أكون بنفسي ناقداً حديثاً. ففي كتاب قرأته حديثاً لمؤلف هو، على وجه اليقين، ناقد حديث، أجد إشارة إلى «النقد الجديد» الذي يقول عنده: «ولست أقصد النقاد الأمريكيين فحسب، بل كلّ الحركة النقدية التي تعود إلى ت. س. بيوت. ولست أفهم لماذا ينبغي أن يعزّلني الناقد بهذه الحدة عن النقاد الأمريكيين، ولكن، من الناحية الأخرى، يتعدّر عليّ أن أرى أية حركة نقدية يمكن أن يُقال عنها إنها تعود إليّ أنا، على الرغم من أنني أأمل أن